Jurnal Studi Ilmu-Ilmu al-Qur'an dan Hadis - ISSN: 1411-6855 (p); 2548-4737 (e)
Vol. 22, No. 1 (Januari 2021), hlm. 185-204, doi: 10.14421/qh.2021.2201-09
Article History:
Submitted: 15-11-2020 Revised: 16-12-2020 Accepted: 20-01-2021

مفهوم السنة في الاعتقاد الإسماعيلي: قرأة نقدية

THE DEFINITION OF THE SUNNAH ACCORDING TO ISMAILISM: A CRITICAL READING

Ramy Mahmud

*Corresponding Author, email, ramy.elbannalum@hotmail.com

Institute of Social Sciences, Nevsehir Haci Bektas Veli University, Faculty of Theology Nevsehir, Turkey, Dögol Cd. 6A, 06560 Yenimahalle/Ankara, Turki 6100 Turkey

Abstract

This research discusses the understanding of the sunnah according to Ismailism. The understanding of the Sunnah has been dominated by the definition of sunnah according to Sunni, the characteristic of Sunni in understanding the concept of sunnah by using Sunnah as a source of Islamic law and also giving more attention to the ahl bayt and also to the Sahaba. This notion is different from Shi'ah's thought that only believes in ahl bayt, regardless of Sahaba. The difference between the two groups in seeing the degree of Sahaba makes the deferent of sunnah among them. By researching some of the of Ismailism's thought in the definition of sunnah, this study is expected to contribute ideas related to Ismailism's method in understanding the sunnah, and in judging the authenticity of sunnah, and to analyze the consistency of application to the sunnah according to Ismailism. This research shows that Ismailism followed esoteric approach to understand the concept of sunnah. This approach causes the sunnah position is not prioritized in the scientific structure of Ismailism. The reason for the small concern in Ismailism's thought towards the Sunnah is basically started from their understanding about the verses of the Holy Qur'an, and their esoteric interpretation corresponds to the pillars of Ismailism.

Keywords: Ismailism, Sunnah, Sunni, Shi'a, Critical Reading

ملخص

Jurnal Studi Ilmu-ilmu al-Qur'an Hadis is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International License.

ناقش البحث هذه المسألة بشيء من التفصيل، منطلقًا من التحليل اللغوي لكلمة السنة وتطورها ودلالاتها، وعرّج على مفهوم السنة والحديث عن أهل السنة، ثم عند الشيعة بشكل عام، ثم عند الإسماعيلية. جاء إلينا الدين الحنيف عن طريق الرسول صلى الله عليه وسلم، ونشأ على إثر ذلك ما يعرف بسنة النبي، ونُعت بها فريق من المسلمين فقيل لهم أهل السنة، وقد اتخذ هذا الفريق من السنة مصدرًا ثانيًا للتشريع الإسلامي، وكانت سمات هذا الفريق في الاعتقاد هو تعظيم النبي وتعظيم أهل بيته مع الصحابة رضوان الله عليهم، بينما كان الفريق المضاد التقليدي هو الفريق الشيعي الذي تمسّك بحق أهل البيت دون الصحابة، على تفاوتٍ بين أبناء التشيع في موقفهم من الصحابة .كان الفريق السني في نظرتهم إلى السنة والحديث النبوي مبنيًا على نظرتهم لاحترام الصحابة، فقد اعتبر بأن الصحابة هي القاعدة الراسخة التي لا ينبغي لأي مسلمٍ الطعن فيها، فهم عدول لا قدح فيهم ولا ضعف على الإطلاق، أما بعد الصحابة فسيخضع الجميع لقواعد الجرح والتعديل، بينما الفريق المضاد الشيعي الذي يرى بتكفير الصحابة، فقد اقتصرت نظرته للسنة والحديث على دائرة أهل البيت ونسله، فالقاعدة عنده هم أهل البيت وأئمة أهل البيت إلى الإمام الذي يتبعونه، والذي بدوره يختلف من فرقة إلى فرقة .

الكلمات الدالة: *أهل السنة ، قرأة نقدية، الإسماعيلية*

المقدمة

يعتبر الاختلاف سنة من سنن الكون الموجودة بين البشر، وأسباب هذا الاختلاف تتنوع وفقًا للزمان والمكان والظروف المحيطة بكليهما، ولم ينج منه إنسانٌ أو أمةٌ من الأمم، وربُّما إيراد الأثر المشهور هنا الذي يتحدث عن افتراق اليهود والنصارى وعن حدوث الأمر نفسه بين المسلمين يكون مناسبًا، وبغض النظر عن صحة الأثر أو ضعفه، فإن هذا الأثر يثبت حقيقة واضحة أن حدوث الاختلاف بين أبناء الدين الواحد هو أحد السنن الكونية، التي لا يستطيع أن ينجو منها دينٌ عن دين أو مجموعة بشرية عن أخرى، ولم يكن حدوث التفرق والاختلاف حصرًا في الأديان السّماوية بل لو دققنا النظر فسنجده في كل الطوائف الدينية أو غير الدينية قديمًا وحديثًا؛ لأنه من طبيعة البشر الأزلية، وهذا الاختلاف يكون في عدة مظاهر، هذه

المظاهر تتنوع في الشدّة والوسيلة، فقد يبلغ الأمر إلى التقاتل والحرب كما حدث في التاريخ ويحدث إلى الآن، ويعتبر الاختلاف السني والشيعي إحدى الاختلافات الرئيسة في التاريخ الإسلامي، التي ظهرت في عصر صدر النبوّة، وتركت آثارها إلى يومنا هذا.

تأتي السنّة كمصدرٍ ثانٍ من مصادر التشريع في الإسلام؛ وقد نُقِلت عدة تعريفات عن السنّة تتمحور حول أقوال النبي صلى الله عليه وسلم، وككثيرٍ من المسائل الدينية كانت السنة بمفهومها نقطة اختلاف بين الفرق في التاريخ الإسلامي، خاصةً بين الفريقين السني والشيعي، فبينما كان مجال السنّة بما يتعلق به من أحاديث وأحكام مستنبطة منها إحدى الميادين الأساسية التي اهتمّ الفريق السنّي، فصبّوا اهتمامهم على جمع أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم بأسانيدها، وقامت علوم مصطلح الحديث على دراسة هذه الأسانيد، وتمييز صحيحها من سقيمها، وكثرت المؤلّفات حول هذا العلم، من ناحية أخرى نجد الفريق الشيعي بشكلٍ عام إلى السنة نظرة أخرى، هذه النظرة تضع في الأولوية آل البيت باعتبارهم المنبع الأساسي للعلوم، أضف إلى ذلك إلى أن كثيرًا من الفرق الشيعية قد آمنوا بتكفير الصحابة رضوان الله عليهم، وبالتالي فهناك إشكالية حقيقية في قاعدة السند، وهذا ينطبق على الفريق الإسماعيلي.

لقد اعتقدت الإسماعيلية كالإمامية بكفر الصحابة لأنهم جحدوا إمامة علي بن أبي طالب، كما أن الأمامة شكّلت عندهم إحدى النقاط المركزية في الاعتقاد والعرفان، فالأئمة معصومون بطبيعة الحال عندهم، كما هو الحال لدى الإمامية، لكن الفارق لدى الإسماعيلية في الإمامة هو أن الإمام يمثِّل إحدى حلقات النظام الكوني الفلسفي في الفكر الغنوصي الإسماعيلي، الذي تأثّر بالأساس بالفلسفة اليونانية، فالأمام هو إحدى توابع الناطق الذين هم خمسة في الفكر الإسماعيلي، يتلقّون التأييد السّماوي من العالم العلوي، أما الأئمة فهم إحدى الحلقات في العالم السفلي الدنيوي، وهكذا ينبغي فهم مسألة الإمامة عند الإسماعيلية.

ناقش البحث مسألة مفهوم السنة عند الإسماعيلية من خلال ثلاث نقاط أساسية، ما معنى السنّة بشكل عام وعقد مقارنة ملخصة عن مفهوم السنة عند المحدثين ومفهومها عند الإمامية والإسماعيلية، وكيف لعبت فكرة الإمامة وتكفير الصحابة دورًا هامًّا في تشكيل مفهوم السنة عندهم، ثم عرّج في النقطة الثانية على فكرة الإسناد ومدى اهتمام الإسماعيلية بالإسناد، الذين بدَوا حتى أضعف من الإمامية في هذا الشأن، وقد أوضح البحث هنا أن الإسماعيلية لم يكن لهم كبير اهتمام بالإسناد، حتى وإن ذكروه إنما يذكرونه مسلسلا بثلاثة أئمة أو أربعة من آل البيت دون أن يذكر الداعي الإسماعيلي طريقة وصول الحديث إليه هو، وهنا فارق زمني قد يتجاوز في كثير من الأحيان ثلاثة قرون، أما النقطة الأخيرة التي ذكرها البحث هي أنه بالرغم من إهمال

الإسماعيلية للحديث وإسناده، إلا أن هناك مساحة صغيرة قد خصصوها في كتبهم لذكر الأدلة من الأحاديث الشريفة، وسبب صغر هذه المساحة هو أن الإسماعيلية بالأساس قد انطلقوا من آيات القرآن الكريم، وتأويلها تأويلا باطنيًا يتوافق وأركان العرفان الإسماعيلي، هذا بجانب التأثير الفلسفي الغنوصي الذي اتسمت به الكتب الإسماعيلي وهذا ينطبق حرفيًا على التراث الإسماعيلي الإيراني ككتب حميد الدين الكرماني والسجستاني، لكن هذا لا يمنع كما أومأنا أنهم استعملوا الأحاديث النبوية للدلالة بشكلٍ قليلٍ بالمقارنة مع الإمامية والسنة.

تأتي السنّة كمصدرٍ ثانٍ من مصادر التشريع في الإسلام؛ وقد نُقِلت عدة تعريفات عن السنّة تتمحور حول أقوال النبي صلى الله عليه وسلم، وككثيرٍ من المسائل الدينية كانت السنة بمفهومها نقطة اختلاف بين الفرق في التاريخ الإسلامي، خاصةً بين الفريقين السني والشيعي، فبينما كان مجال السنّة بما يتعلق به من أحاديث وأحكام مستنبطة منها إحدى الميادين الأساسية التي اهتمّ الفريق السنّي، فصبّوا اهتمامهم على جمع أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم بأسانيدها، وقامت علوم مصطلح الحديث على دراسة هذه الأسانيد، وتمييز صحيحها من سقيمها، وكثرت المؤلّفات حول هذا العلم، من ناحية أخرى نجد الفريق الشيعي بشكلٍ عام إلى السنة نظرة أخرى، هذه النظرة تضع في الأولوية آل البيت باعتبارهم المنبع الأساسي للعلوم، أضف إلى ذلك إلى أن كثيرًا من الفرق الشيعية قد آمنوا بتكفير الصحابة رضوان الله عليهم، وبالتالي فهناك إشكالية حقيقية في قاعدة السند، وهذا ينطبق على الفريق الإسماعيلي.

لقد اعتقدت الإسماعيلية كالإمامية بكفر الصحابة لأنهم جحدوا إمامة علي بن أبي طالب، كما أن الأمامة شكّلت عندهم إحدى النقاط المركزية في الاعتقاد والعرفان، فالأئمة معصومون بطبيعة الحال عندهم، كما هو الحال لدى الإمامية، لكن الفارق لدى الإسماعيلية في الإمامة هو أن الإمام يمثِّل إحدى حلقات النظام الكوني الفلسفي في الفكر الغنوصي الإسماعيلي، الذي تأثّر بالأساس بالفلسفة اليونانية، فالأمام هو إحدى توابع الناطق الذين هم خمسة في الفكر الإسماعيلي، يتلقّون التأييد السّماوي من العالم العلوي، أما الأئمة فهم إحدى الحلقات في العالم السفلي الدنيوي، وهكذا ينبغي فهم مسألة الإمامة عند الإسماعيلية.

ناقش البحث مسألة مفهوم السنة عند الإسماعيلية من خلال ثلاث نقاط أساسية، ما معنى السنّة بشكل عام وعقد مقارنة ملخصة عن مفهوم السنة عند المحدثين ومفهومها عند الإمامية والإسماعيلية، وكيف لعبت فكرة الإمامة وتكفير الصحابة دورًا هامًّا في تشكيل مفهوم السنة عندهم، ثم عرّج في النقطة الثانية على فكرة الإسناد ومدى اهتمام الإسماعيلية بالإسناد، الذين بدَوا حتى أضعف من الإمامية في هذا الشأن، وقد أوضح البحث هنا أن الإسماعيلية لم يكن لهم كبير اهتمام بالإسناد، حتى وإن ذكروه إنما يذكرونه مسلسلا بثلاثة أئمة

أو أربعة من آل البيت دون أن يذكر الداعي الإسماعيلي طريقة وصول الحديث إليه هو، وهنا فارق زمني قد يتجاوز في كثير من الأحيان ثلاثة قرون، أما النقطة الأخيرة التي ذكرها البحث هي أنه بالرغم من إهمال الإسماعيلية للحديث وإسناده، إلا أن هناك مساحة صغيرة قد خصصوها في كتبهم لذكر الأدلة من الأحاديث الشريفة، وسبب صغر هذه المساحة هو أن الإسماعيلية بالأساس قد انطلقوا من آيات القرآن الكريم، وتأويلها تأويلا باطنيًا يتوافق وأركان العرفان الإسماعيلي، هذا بجانب التأثير الفلسفي الغنوصي الذي اتسمت به الكتب الإسماعيلي وهذا ينطبق حرفيًا على التراث الإسماعيلي الإيراني ككتب حميد الدين الكرماني والسجستاني، لكن هذا لا يمنع كما أومأنا أنهم استعملوا الأحاديث النبوية للدلالة بشكلٍ قليلٍ بالمقارنة مع الإمامية والسنة.

معنى السنة

كانت كلمة السنّة مستعملة بين العرب قبل مجيء الإسلام؛ يُعنَى بها الطريقة التي يُسار عليها، لهذا قال ابن منظور في لسان العرب بأن السنة هي السيرة الحسنة أو القبيحة، والسيرة هي الطريقة، وأورد في ذلك بيت شعر للشاعر الجاهلي خالد بن عتبة الهُذلي هو:

فلا تَجْزَعَنْ من سِيرةٍ أَنتَ سِرْتَهَا فأَوَّلُ راضٍ سُنَّةً من يَسِيرُها

وقد ورد لفظة السنة في القرآن الكريم بهذا المعنى معنى الطريقة والمنهج، فمن ذلك قول الله تعالى: "يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ" [1]، وقد قال الطبري في معنى السنة هنا: "سُبل من قبلكم من أهل الإيمان بالله وأنبيائه، ومناهجهم فيما حرّم عليكم"[2] ، كذلك وردت كلمة السنة بمعنى الطريقة في السنة النبوية؛ من ذلك حديث النبي صلى الله عليه وسلم: "«من سنَّ في الإسلام سنة حسنة، فله أجرها، وأجر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء[3] "

أما المعنى الاصطلاحي فيختلف عند السنة عنه عند الشيعة؛ أما عند السنة فهناك اختلاف أيضًا بين الفقهاء والمحدّثين، فهي وفق الأصوليين من أهل السنة المصدر الثاني من مصادر التشريع بعد القرآن الكريم،

[1] سورة النساء، آية رقم 26.

[2] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد شاكر، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 2000)، 5/1.

[3] مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، دون تاريخ)، 704/2.

وهي ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعلٍ أو إقرار، أما عند المحدثين فالسنة ترادِف في غالب أحوالها الأحاديث الواردة، وقد وردت الكلمة في القرآن مرتين بصيغة الجمع وثلاثة عشرة مرة بصيغة المفرد [4]، وأكثرها يأتي على معنين الأول بمعنى نهج الأمم السابقة، والمعنى الآخر تأتي الكلمة مضافة إلى لفظ الجلالة الله بمعنى قانون الله أو القواعد التي تسير عليها الكون، وقد استعملت كلمة السنة مضافة إلى الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله علسه وسلم فقيل سنة أبي بكر وسنة عمر بن الخطاب وسنة عثمان بن عفان[5].

هذا هو المعنى عند السنة، ولا شكَّ أن الوسيلة التي انتقلت بها السنة هي الإسناد؛ والإسناد يحتلُّ أهميةً كبيرةً في الفكر السني، فلا يوجد حديث دون إسناد، كما لا يقبل أي إسناد، بل يتوقف الأمر على صحة الإسناد، وهذا الإسناد الذي يبتدئ بالصحابة رضوان الله عليهم فهم الذين نقلوا لنا السنة، ثم التابعين ثم تابعي التابعين حتى عصر المصنفات والآئمة كمالك بن أنس والشافعي وأحمد بن حنبل والبخاري ومسلم.

أما معنى السنة عند الشيعة بشكلٍ عام فإنه يتمحور حول فكرة الإمامة؛ فمن المعروف أن بذور التشيع نشأت بدورها بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم على حب آل البيت والنصرة لهم وادّعاء الإمامة لهم بعد وفاته صلى الله عليه وسلم، وبمرور الزمن، تطوّرت الشيعة وافترقت فرقًا وأحزابًا بناء على هذه الفكرة، والإمامة مقترنة بالأساس بالعصمة، فبينما أهل السنة يتلقّون الحديث عن طريقة سلسلة من الرجال الذين يخضعون لعملية الجرح والتعديل، نرى الأمر عند الشيعة مختلفًا اختلافًا جذريًا؛ فإنهم بالأساس في غنىً عن هذه السلسة لأنهم يعتقدون بعصمة الإمام، فإذا جاء الحديث من الإمام فهو بمثابة كحديثٍ جاء عن الرسول نفسه، فمجرّد نقل الإمام عن الرسول عليه الصلاة والسلام هو في حدِّ ذاته مرجعٌ، لأنهم بالأساس معصومون من الخطأ ما صغر ومنه كبر، أمرٌ آخر هو أن الأئمة عند الشيعة بشكلٍ عام يعتبرون مصادر علوم النبوة بل العلوم كلها، وبأيديهم مفاتيح الحل لكل مشاكل الأمة [6].

وهناك رواية هامّة نقلها لنا الشيعي الاثنا عشري المعروف المفيد عن جعفر الصادق توضّح مفهوم الإسناد عند الشيعة بشكلٍ عام؛ يقول المفيد: أخبرني أبو القاسم جعفر بن محمد القمّيُّ قال: حدثنا سعد بن عبد الله قال: حدثنا أحمد بن محمد بن عيسى قال: حدّثني هارون بن مسلم بن عبد الله قال: حدثنا أحمد بن

[4] محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، (القاهرة: دار الحديث)، 367.

[5] İlyas Çelebi, "Sünnet", TDV İslâm Ansiklopedisi, https://islamansiklopedisi.org.tr/sunnet--peygamber#2-kelam (08.11.2020).

[6] Bekir Kuzudişli, Şia'da Rivayet Olgusunu Şekillendiren Temel Unsurlar, Dinbilimleri Akademik Araştırma Dergisi, Cilt 18, Sayı 1, 2018, s. 62.

محمد بن عيسى قال: حدّثني هارون بن مسلم عن عليّ بن أسباط، عن سيف بن عميرة عن عمرو بن شمر عن جابر قال: قلت لأبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام: إذا حدّثتني بحديث فأسنده لي، فقال: حدثني أبي عن جدي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، عن جبرئيل عليه السلام عن الله عز وجل، وكلّ ما أحدّثك بهذا الإسناد، وقال: يا جابر لَحديثٌ واحدٌ تأخذه عن صادقٍ خير لك من الدُّنيا وما فيها [7].

وبغضِّ النظر عن صحة هذه الرواية التي جاءت عن جعفر الصّادق أو ضعفها فإنها تلخِّصُ نظرة الشيعة بشكلٍ عام إلى الحديث؛ فهم ينظرون له من خلال الأئمة، الذين هم معصومون، فالسنة عند الشيعة "كل ما يصدر عن المعصوم من قولٍ أو فعلٍ أو تقرير"، والمعصوم المقصود به الأئمة الذين هم المنصوبون من الله تعالى على لسان النبي لتبليغ الأحكام الواقعية، فلا يحكمون إلا عن الأحكام الواقعية عند الله تعالى [8].

كما ورد في الكافي للكليني رواية عن جعفر الصادق أبي عبد الله تقول: "حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدِّي، وحديث جدي حديث الحسين، وحديث الحسين حديث الحسن، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحديث رسول الله قول الله عزوجل ."

مكانة أهل البيت في الاعتقاد الإسماعيلي

أوضحنا سابقًا أن الفكر الشيعي نشأ بالأساس على فكرة الإمامة، ولا يستثن في هذا الأمر أي فرقة من فرق الشيعة على كثرتهم[9] ، والإمامة تعني بالأساس إمامة أهل البيت، ومن أسس الاعتقاد الشيعي أن الإمامة تكون بالنصّ وليس بالاجتهاد، والكيفية التي تحدث بها، هو أن ينصّ الإمام قبل وفاته على الإمام الذي يليه، ومن هنا نشأت الفرق الشيعية المختلفة وتكاثرت، فالاختلاف على الإمامة يولّد فرقة أو اثنتين أو ثلاثة؛ على سبيل المثال بعد وفاة الإمام الأشهر جعفر الصّادق[10] اختلفت الشيعة على من سيتولّى الإمامة من بعد جعفر، فالإسماعيلية رأت أن الإمامة هي لإسماعيل ولد جعفر، وفريق آخر من الشيعة قالوا بأن ولد جعفر

[7] الأمالي، للشيخ المفيد، دار التيار الجديد دار المرتضى، ص 42

[8] ناصر بن عبد الله على القفاري، أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية، عرض ونقد، دون معلومات غير سنة النشر، 1994، ص 308.

[9] انظر فرق الشيعة، للنوبختي، (بيروت: منشورات الرضا، 2012، ص 51.

[10] يعتبر جعفر الصادق أحد أهم الأئمة عن الشيعة بشكلٍ عام، فكثيرٌ من الروايات الشيعية ركّزت على جعفر الصّادق ونقلت عنه، من ذلك الاثنى عشرية وغيرها، توفى 148هجرية: انظر موسوعة المعارف التركية

هذا قد مات في حياة أبيه، ولم يعد له وجود، ومن ثَمَّ أصبحت هناك عدة فرق منها الإسماعيلية التي اعترفت لإسماعيل بالإمامة، ومنها الاثنى عشرية التي لم تعترف لإسماعيل واتخذت من ولد جعفر موسى الكاظم إمامًا لهم.

وهذا يبين لك التمحور الشديد حول الأئمة بصفتهم أحد أسس العقيدة الشيعية؛ ولا غرو في ذلك وقد وردت آثارٌ كثيرة تدلُّ على ذلك كما استشهدوا بآيات كثيرة من القرآن الكريم، فأهل البيت هم في أنفسهم حجة ومصدرٌ تالٍ بعد القرآن الكريم، بل إن أقوال أهل البيت هي التي تفسِّر القرآن، فلا يقبل أي قول من الأقوال غير قول الأئمة، فهم يؤولون قول الله تعالى: إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ"[11] بأن الهداة بعد النبي صلى الله عليهم وسلم هم الأئمة، وقد روي عن جعفر الصادق في تفسيره للآية: "كل إمامٍ هادٍ للقرن الذي هو فيهم" وفي رواية أخرى يقول فيها جعفر الصادق: "رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر ولكل زمان منّا هادٍ يهديهم إلى ما جاء به نبي الله صلى الله عليه وسلم، ثم الهداة من بعده عليٌّ ثم الأوصياء واحدٌ بعد واحدٍ[12]" ، كذلك نُقِل عن جعفر الصّادق في تفسير الآية الكريمة " وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ"[13] أن المقصود هم الأئمة[14] ، وتفسيره للآية القرآنية " فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ"[15] حيث قال جعفر الصادق –وفقًا لنقل الكليني–: "النور في هذا الموضع عليٌّ أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام ."[16]

هكذا تتخذ الشيعة من الأئمة مركزًا أساسيًا في تلقِّي العلوم، فهم في مكان الرسل والعلوم التي يتلقّونها إنما هي من الله مباشرة، فهم معصومون، والكليني من أئمة الاثنى عشرية، لكننا إذا نظرنا إلى الشيعة الإسماعيلية الذين صُنِّفوا من قبيل أصحاب الفرق والمقالات في طبقة غلاة الشيعة، فإننا سنجد أن وضع الإمام قد اتّخذ مكانة أكثر من تلك التي عند الشيعة بشكلٍ عام، هذا المنحى اتّسم بالغنوصية المتأثرة بالفلسفة، فإضافة إلى أن الإمام معصوم ويتلقّى الوحي من عند الله، فإنه أحد أركان النظام الكوني في الفكر الإسماعيلية، فنشوء الكون عند الإسماعيلية كان عبارة عن خروج العقل من المبدِع، ثم خرجت منه النفس ثم العوالم، على اختلافٍ

---

[11] سورة الرعد، آية رقم 7

[12] الكليني، الكافي، (بيروت: منشورات الفجر، 2007)، 112/1.

[13] سورة النور، آية 55.

[14] الكليني، الكافي، 114/1، وانظر هذه الصفحات وما بعده لمعرفة مكانة أهل البيت عند الشيعة الإمامية.

[15] سورة الأعراف، آية 157.

[16] الكليني، الكافي، 114/1.

فيما بينهم [17]، ويأتي دور الأئمة في هذه كحلقة من تلك حلقات ذلك النظام الكوني [18]، فعلى سبيل المثال لا يوجد عن الإسماعيلية مفهوم الرسل الموجود لدى غالبية فرق المسلمين، بل كان مكان الرسل ما أطلقوا عليهم مصطلح النطق والنطقاء، فالناطق هو الذي ينطق بالحق وبالوحي الإلهي، وقد عرَّفه الدّاعي الإسماعيلي أبو يعقوب السجستاني (توفي نحو سنة 411 هـ) كالتالي: بأنه اسمٌ محمود شريف، فالناطق لا يفارقه الحق ولا يضاده، وقد نطقت به الآيات القرآنية، كما في قوله تعالى: (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى) [19] ، وقال: (هَٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)[20] ، وهذا يعني أن النطق قرين للحق، فلو لم يكن النطق قرينا للحق لما أضافه الله إلى كتابه، وهذا يعني أن النطق في ذاته شريف مقدس، لهذا فقد منعه الله عن الكفار يوم القيامة، كما جاء في الآية عنهم: (هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ)[21] ، هكذا ولا شكَّ أن السجستاني يقصد النّطق الشريف الذي تمتّع به النطقاء عند الإسماعيلية [22].

والنُّطقاء في الفكر الإسماعيلي هم أولو العزم من الرسل إضافة إلى القائم الذي سيأتي في آخر الزمان، كما صرّح بذلك الدّاعي، ويتبع نظام النطقاء أسس ولواحق، فكل ناطق من هؤلاء له أساس، فإن آدم كان أساسه في ولده شيث، وظلت تنتقل الأساسية في ولده من برد إلى مهلائل إلى فالغ حتى جاء نوح الناطق والذي جعل أساسه سام ثم انتقلت في ولده حتى هود وقد كان أساسًا ثم كان نفس الأمر في صالح إلى أرغو وناخور ولوط وغيرهم حتى مجيء الناطق إبراهيم وقد كان أساسه إسماعيل وهكذا في يعقوب ويوسف وسارت شئون النبوة، حتى جاء الناطق موسى وأساسه يوشع، ولم يكن هرون لأن هرون مات في حياة موسى —كما يقول داعي سرمين الأجل– وهكذا حتى جاء الناطق محمد والذي جعل أساسه علي بن أبي طالب، وهو المقصود بالآية الكريمة (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ۖ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ۚ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ)[23] ، فالتبليغ هنا المقصود به هو الأساسية لعلي[24] .

---

[17] Rami MAHMUD, Fatımîler Döneminde Siyasî Ve İdeolojik Bir Yapılanma: Kelamî Açıdan İsmailî İnanç Sistemi. İstanbul. Post Yayinevi. 2020.

[18] انظر: الكرماني، راحة العقل،

[19] سورة النجم، آية رقم 3.

[20] الجاثية، آية رقم 29.

[21] المرسلات، آية رقم 35.

[22] السجستاني، الافتخار، تحقيق إسماعيل قربان بوناوالا، (بيروت: دار الغرب،)، ص 146.

[23] سورة المائدة، آية رقم 67.

[24] داعي سرمين الأجل، رسالة الأصول والأحكام، مرجع سابق، ص 106، الحامدي، كنز الولد ص 207، االقاضي النعمان، دعائم الإسلام 43/1.

وقد ادّعى الدّاعي الإسماعيلي الفاطمي القاضي النعمان (توفى 363هـ) بأن هذا الأمر قد ورد فيه الإجماع حيث قال في أرجوزته في العقيدة الإسماعيلية :

أجمعت الأمة فيما قد عُرِفْ من قولها، واتفقت لا تختلف

إن أبانا إذ تولى آدما صلى عليه ربنا وسلَّما

أوصى إلى شيث، فخلّى شيثا خليفةً، ولم يكن مبعوثا[25]

أما الدّاعي الكرماني فقد صنع رسمًا وضّح نظام الكون كما يراه واتصال ذلك بالأسس والأئمة، وربط بينهم وبين الكواكب؛ فهناك قسمين أساسين يتوزّعان بين السماء والأرض، الأول يسمّى بالحدود العلوية والثاني يسمّى بالحدود السفلي، ففي الحدود العلوية ذكر عشر موجودات ابتداء بالموجود الأول ثم الموجود الثاني الذي هو المنبعث الأول، والموجود الثالث وهكذا إلى الموجود العاشر، وربط كل هذه الموجودات بالأفلاك، فالموجود الأول الذي هو المبدع الأول يتصل بالفلك الأعلى، والموجود الثاني يتصل بالفلك الثاني، والموجود الثالث يتصل بالفلك الثالث الذي هو كوكب زُحل، والموجود الرابع هو الفلك الرابع هو المشتري، وهكذا إلى التاسع الذي هو القمر، والعاشر الذي هو مادون الطبائع.

أما القسم الثاني وهو الذي في الأرض فهو ما سمّاه بالحدود السفلية، وقد وصلهم بالحدود العلوية على الترتيب السابق، فالموجود الأول متصل بالناطق والذي له رتبة التنزيل أي أنه يتلقّى تنزيل الوحي من عند الله، أما الموجود الثاني الفلك الثاني فهو متصل بالأساس الذي هو له رتبة التأويل فهو الذي يختص بتأويل التنزيل، أما الثالث فهو الإمام المتصل بالموجود الثالث والفلك الثالث، وللإمام رتبة الأمر، وهكذا إلى العاشر الذي يأتي في الأخير المأذون المحدود الذي هو المكاسر، وهو الذي عليه جذب الأنفس المتسجيبة إلى الدعوة الإسماعيلية [26].

هذه هي النظرة الإسماعيلية، فهي في الأساس نظرة شيعية اتخذت من الإمامة مركزا لاعتقادها، لكنّها طوّرت في الحقيقة فكرة الإمامة كي تكون أحد أركان النظام الكوني، فالفارق بينهم وبين الشيعة الاثنى عشرية على سبيل المثال؛ أن الاثنى عشرية رأت في الأئمة بأنهم لهم مسحة قدسية نابعة من النبوة، وأن كلامهم معصوم، كذلك الإسماعيلية رأوا هذا الأمر، لكن النظرة الإسماعيلية كانت مزيجًا من الغنوصية الفلسفية، فالأئمة

[25] القاضي النعمان، القاضي النعمان، الأرجوزة المختارة في الإمامة، تحقيق إسماعيل قربان بوناوالا، دار بيبليون، باريس، دون تاريخ، ص 34.

[26] انظر: الكرماني، راحة العقل، تحقيق محمد كامل حسين ومحمد مصطفى حلمي، دار الفكر العربي، دون تاريخ، القاهرة، ص 138.

عند الإسماعيلية لهم دورٌ في هذا الكون، وهم متصلون بالعالم العلوي من الأفلاك ونحوه، كما سبقت الإشارة، إضافة إلى هذا فإن لهم وظيفةٌ قدسية، والتطبيق العملي في التاريخ الإسلامي، يمكن القول بأنه تمثّل في الخلفاء الفاطميين، فإنهم كانوا أئمة إسماعيلية، وقد أعطى لنا القاضي النعمان صورة جيدة في كتبه عن الخلفاء الفاطميين، خاصة الذين عاصرهم وعلى رأسهم المعز لدين الله الفاطمي، وقد سجّل لنا حكاياته وأحاديثه مع هؤلاء الأئمة، في كتابه المجالس والمسايرات.

مسألة الإسناد عند الشيعة الإسماعيلية

إذا نظرنا إلى الشيعة بشكلٍ عامٍّ فإننا نرى بأن عملية الإسناد لم تأخذ الأهمية التي احتلّتها عند السنّة، فلم يهتمّوا بعلم الجرح والتعديل[27] كاهتمام السنة، خاصة الشيعة الإسماعيلية الذين ورد في كتبهم الكثير من الأحاديث دون إسنادٍ يُذكَر أو تحقيق أو رواية، وليكن الأمر أكثر وضوحًا فإن عملية الإسناد التي اشتهر بها السنة تنطلق قاعدتها من الصحابة رضوان الله عليهم، فهم الطبقة الأولى في الإسناد الذين ينقلون عن النبي صلى الله عليه وسلم، والصحابة كلهم عدولٌ لا يكذبون، ويأتي من بعد الصحابة التابعون ثم تابعو التابعين، الذين يخضعون لقواعد الجرح والتعديل الصارمة، والذي هو علمٌ مستقلٌ عند السنة والمحدثين، وقد طوَّره السنة كي يصبح ميزانًا يوزَنُ به كثيرٌ من الحقائق العلمية حتى خارج علم الحديث.

والإسناد عند المحدثين قد أخذ دورًا مهما في الدين، حتى قال عبد الله بن المبارك: "الإسناد من الدين، لولا الإسناد لقال من شاء ما شاء، فإذا سُئل: وقف وتحير"[28] ، وعلى هذا الأساس نشأ علم الحديث والتضعيف والتصحيح والرجال ونحوه، وكل هذا —في رأينا– قد ساعد في وضع ضوابط صارمة لفوضى الروايات التي حدثت في القرون الأولى، فبدلا من أن يقول من شاء ما شاء، وُضع لهؤلاء جميعا ما يشبه معامل الاختبار التي تثبت صحة الأثر من عدمه، وهناك مقالة للتابعي محمد بن سيرين توضّح لنا أحد الأسباب الأساسية لنشأة الإسناد عند المحدثين، يقول: " لم يكونوا يسألون عن الإسناد فلما وقعت الفتنة قالوا : سموا لنا رجالكم، فيُنْظَرُ إلى أهل السنة فيُؤْخذ حديثُهم، ويُنْظَر إلى أهل البدعة فلا يؤخذ حديثهم "، والفتنة التي يقصدها ابن

[27] توجد عند الشيعة الاثنا عشرية كتب في الرجال انظر على سبيل المثال؛ محمد باقر بن محمد تقي المجلسي، الوجيزة في علم الرجال، ترتيب عبد الله السبزالي الحاج:، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1994، لكنها ليست بالدقة والجودة التي امتاز بها المحدثون من السنة قارن على سبيل المثال كتب الجرح والتعديل المتكاثرة ابتداءً من القرن الثالث والرابع الهجريين حتى بلوغ أوجها في القرن الثامن الهجري على يد جمال الدين المزّي في تهذيب الكمال في أسماء الرجال.

[28] الإمام مسلم، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 15/1.

سيرين هي الحرب التي قامت بين الصحابة، وقد قام كلٌّ من أتباع الفريقين برواية ما يعضّد وينصر حجته ورأيه وعسكره، ولم يلتفت إلى الصحة والضعف، فلمّا وقعت الفوضى في تلك، يقول ابن سيرين بأنهم قالوا وهو يقصد السنّة سمّوا لنا رجالكم، أي اذكروهم بأسمائهم حتى نعلم من يروي عمّن، وبالتالي نشأ على إثر هذا علم الحديث بما فيه من علوم كثيرة كالإسناد والرجال والجرح والتعديل والعلل وما شابه، بمؤلفاته الغزيرة.

أما إذا ذهبنا إلى الشيعة الإسماعيلية فإن الصحابة في نظرهم كفارٌ، لا يصح أن يؤخذ عنهم العلم، وقد ادّعى السجستاني بأن الصحابة أبا بكرٍ الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضى الله عنهم كانوا عبّادًا للأوثان، فيحاول إثبات الوصاية لعلي –أي أنه الأحق بالقيام بالأمر بعد موت الرسول الله صلى الله عليه وسلم– قائلا بأن عليًّا هو الوحيد الذي نجا من عبادة الأوثان وتخلّص منها فكان طاهرًا، أما بقية الصحابة فهم لم يتخلّصوا من عبادة الأوثان، ويدّعي في ذلك إجماعًا، ثم يبني علي ذلك أن من عبد الأوثان يكون ظالمًا معتديًا وبالتالي لا يحق له الخلافة أو الإمامة بحال، أما علي بن طالب فهو معصوم بدعاء إبراهيم عليه السلام في الآية الكريمة: " وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ"[29] ، ويؤول هذه الآية تأويلا باطنيًا [30].

وكذلك يؤول القاضي النُّعمان الآية بقريبٍ من هذا المعنى فيقول: "فخصَّ دعاء إبراهيم عليه السلام الأئمةَ والأمة التي من ذريته، ثم دعا لشيعتهم كما دعا لهم، فأصحاب دعوة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام رسول الله وعليّ وفاطمة والحسن والحسين والأئمة صلوات الله عليهم، ومن كان متوليا لهؤلاء من ولد إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام فهو من أهل دعوتهما لن جميع ولد إسماعيل قد عبدوا الأصنام، غير رسول الله (صلع) وعلي وفاطمة والحسن والحسين وكانت دعوة إبراهيم وإسماعيل لهم .[31]"

هكذا الأمر عند السجستاني وعند بقية الدعاة الإسماعيلية، ومن اعتقد بإيمان الصحابة وأفضليتهم فهو من "العامّة"[32] الجهلة، وهذا المصطلح كما هو منتشر عند الشيعة الإسماعيلية منتشرٌ عند الشيعة الإمامية وغيرهم، وإذا كان الأمر كذلك فستتولّد إشكالية أساسية في عملية الإسناد لدى الإسماعيلية؛ إذ كان نتيجة

[29] سورة إبراهيم، آية 35.

[30] السجستاني، الافتخار، 156.

[31] القاضي النعمان، دعائم الإسلام، 34/1، وانظر 37/1.

[32] يستعمل الإسماعيلية لفظ العامة ويقصدون به أهل السنّة وكذلك الأمر عند الشيعة الاثنى عشرية، انظر مثلا استعمال القاضي النعمان للفظ العامة في: دعائم الإسلام، 47/1.

الأمر الإهمال التامّ لعملية الإسناد أثناء نقل الأحاديث أو حتى روايات أهل البيت، هذا مع قولنا مجددًا بأنهم قد صبّوا اهتمامهم على الآيات القرآنية وتأويلها تأويلا باطنيًا.

نستدعي ابن تيمية وهو يناقش الشيعة واحتجاجهم بالأحاديث، فإنه يرى أن الشيعة لا يعتنون بالإسناد ولا يعرفونه حق المعرفة، ولا ينظرون في أسانيد الأحاديث التي يروونها هل هي توافق الأدلة الشرعية والعقلية أم لا؟ ولهذا فلا يوجد لهم أسانيد متصلة صحيحة قط، بل كل أسانيدهم لا تخلو ممن هو معروف بالكذب أو كثرة الغلط[33] ، والإسناد عند المحدثين قد أخذ دورًا مهما في الدين، حتى قال عبد الله بن المبارك: "الإسناد من الدين، لولا الإسناد لقال من شاء ما شاء، فإذا سُئل: وقف وتحير" ، وعلى هذا الأساس نشأ علم الحديث والتضعيف والتصحيح والرجال ونحوه، وكل هذا —في رأينا– قد ساعد في وضع ضوابط صارمة لفوضى الروايات التي حدثت في القرون الأولى، فبدلا من أن يقول من شاء ما شاء، وُضع لهؤلاء جميعا ما يشبه معامل الاختبار التي تثبت صحة الأثر من عدمه.

وفي حقيقة الأمر إننا نرى ملاحظة ابن تيمية في عدم اهتمام الشيعة بالإسناد مع أهميته ولعبه دورًا محوريا في موثوقية المعلومة الآتية لنا، نرى هذه الملاحظة في محلها جدًّا، وتنطبق بعينها على كثير مما جاء في كثيرٍ من الروايات الآتية عن الدعاة الإسماعيليين، ودليلا على ذلك من دعاة الإسماعيليين الأوائل فإننا لاحظنا أنهم يحتجون في مصنفاتهم بالأحاديث، بل يعرفون أنواع الحديث من آحاد ومتواتر، ولقد أنكر السجستاني بعض المسائل احتجاجًا منه بأن الحديث الذي يذكر دليلًا على هذه المسألة هو أحاديث آحاد، إذن نستنتج من هذا أن السجستاني وأمثاله دعاة إسماعيلية أُخَر يعرفون أنواع الحديث من متواتر وآحاد، لكنهم مع هذا لم يدرجوا علم الحديث أو الإسناد في احتجاجاتهم على الإطلاق، وأزيد من هذا، كان استهزاء السجستاني بأهل الظاهر أنهم يأخذون دينهم عن أئمة الحديث أمثال أحمد بن حنبل ويحيى بن معين والبخاري وغيرهم [34] ، هذا الاستهزاء الذي تركه السجستاني هكذا ولم يقدِّم بديلا قويًّا له عند الإسماعيلية.

وذكر السجستاني المتوفّى في القرن الرابع الهجري لهؤلاء المحدّثين يدلُّ على أنه ملمٌّ إلى حدٍّ ما بسمعة هؤلاء المحدّثين القريبين منه زمانيًا ومكانيًا، كما يؤكّد مرة أخرى نظرتنا بأن الدعاة الإسماعيلية لم يُعطوا لهذا العلم أهمية بالأساس، وكان مصبّ اهتمامهم على آيات القرآن الكريم وتأويلها تاويلا باطنيًا يتوافق مع

[33] ابن تيمية، منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية، تحقيق محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود، السعودية، 1986، 37/7.
[34] السجستاني، الافتخار، 178.

عقائدهم، لكن في الوقت نفسه قد يستعمل الدعاة الإسماعيلية مصطلحات كالضعيف وصحيح الإسناد والتواتر والآحاد إذا كان الحديث يدعم رؤيتهم .

الاستدلال بالأحاديث عند الإسماعيلية

إننا إذا نظرنا إلى طرق الاستدلال عند الإسماعيلية فيمكن ملاحظة أمرين هامّين؛ الأول أن أكثر استدلالات الدّعاة الإسماعيلية متمحورٌ حول القرآن الكريم، فهم نادرًا ما يستدلّون بالحديث الشريف، وبالرغم من أنهم في نهاية الأمر طائفة من الشيعة إلا أن استشهادهم بأقوال أئمة آل البيت جاء قليلا أيضا، وهذا ينطبق على أكثر الدّعاة الإسماعيلية سواء أكانوا من المدرسة الإيرانية كالسجستاني في كتابيه على سبيل المثال الينابيع والافتخار والكرماني في كتابه راحة العقل، أو من المدرسة العربية كجعفر بن المنصور اليمن في الكشف.

لكن في الوقت نفسه قد ورد في كتب الإسماعيلية الاستدلال بالأحاديث النبوية حتى وإن كان قليلا بالنسبة للفرق الأخرى، إلا أنهم استدلّوا بها في كتبهم بجانب القرآن الكريم والإجماع، وقد يُذكَر هنا القاضي النعمان وهو أحد أعمدة القضاء الإسماعيلي في العصر الفاطمي، ومؤسس الفقه الإسماعيلي، وأول قاضي في الدولة الفاطمية، وقد استمرَّت وظيفة القضاء في نسله إلى عهدٍ بعيد.

ألّف القاضي النعمان في الفقه الإسماعيلي الظاهر كما أسماه كتاب دعائم الإسلام[35] ، وكان الغرض من تأليف القاضي لهذا الكتاب هو تأسيس للفقه الظاهري على غرار كتب الفقه المؤلفة عند السنّة، فاعتني بذكر أبواب الفقه المعروفة كأبواب الجهاد والعتق والبيوع ونحوها، وقد استدلَّ فيه بالأحاديث النبوية بجانب الآيات القرآنية، وقد ذكر في مقدمة الكتاب حديثين مشهورين الأول هو: "لتسلكنّ سبل الأمم من كان قبلكم حذو النّعل بالنعل والقذّة بالقذّة حتى لو دخلوا جحر ضبٍّ لدخلتموه"، والثاني هو: "لتركبن سنن من كان قبلكم ذراعًا بذراعٍ وباعًا بباعٍ حتى لو سلكموا خشرم دبر لسلكتموه"، ثم يبيّن الغرض الأساس من تأليف هذا الكتاب قائلا: "فقد رأينا وبالله التوفيق عند ظهور ما ذكرناه أن نبسط كتابًا جامعًا مختصرًا يسهلُ حظفه ويقرب مأخذه، ويغني ما فيه من جمل الأقاويل عن الإسهاب والتطويل، نقتصر فيه على الثابت الصحيح مما

[35] القاضي النعمان، دعائم الإسلام، تحقيق آصف بن علي أصغر فيضي، (القاهرة: دار المعارف، 1963)، 1/ 11.

رويناه عن الأئمة من أهل بيت رسول الله (صلع) من جملة ما اختلفت فيه الرواة عنهم في دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام، والقضايا والأحكام .[36]"

فهنا يوضّح القاضي النُّعمان الحديث الثابت الصحيح فهو ما روي عن الأئمة وأهل البيت، فإذا نظرنا إلى المحتوى الحديثي للكتاب سنجد تطبيقًا لمقولته هذه فمعظم الأحاديث كانت مروية عن أهل البيت، خاصة عن جعفر الصادق الإمام السادس لدى عموم الشيعة، وهو الإمام الأهم لديهم، فهو يحتلُّ مكانة خاصة عن الشيعة الاثنى عشرية، فمعظم الروايات الشيعية تتمحور حول جعفر، كذلك الحال عند الشيعة الإسماعيلية، فالقاضي يذكر في فاتحة كتابه رواية تؤصِّل لقواعد الإسلام منسوبة لمحمد الباقر وهو الإمام الخامس لدى الشيعة الإمامية والإسماعيلية، حيث يقول: "فقد رُوينا عن أبي جعفر محمد بن علي أنه قال: بني الإسلام على سبع دعائم: الولاية: وهي أفضلها وبها وبالولي يوصل إلى معرفتها، والطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد"[37] ، هكذا يروي القاضي عن محمد الباقر دون ذكر سندٍ يُذكَر، وينبغي التذكير هنا بأن الاعتقاد الإسماعيلي في الأئمة هو العصمة المطلقة البعيدة عن ارتكاب أي خطأ أو ذنب، فهم مصدر العلوم، لكن هنا أمر أخر ينبغي الالتفات له، هو أن القاضي النعمان قد ذكر الرواية بصيغة المجهول "روينا" وموت القاضي النعمان كان في القرن الرابع الهجري سنة 363، أما موت محمد الباقر فكان 114هـ، أي بين الرجلين ما يزيد عن مئتين سنة، فكيف وصلت هذه الرواية إلى القاضي النعمان؟!

والأمر لا يقتصر على النسبة إلى محمد الباقر، بل يذكر القاضي النعمان الأحاديث بنفس الصيغة عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ فقد ذكر في باب "ذكر ولاية أمير المؤنين علي بن أبي طالب وعلى الأئمة من ولده الطاهرين"، حديثًا بالصيغة التالية: "وقد روينا عن علي بن أبي طالب (ص) أن قومًا سألوه فقالوا: يا أمير المؤمنين، أخبرنا بأفضل مناقبك، فقال: أفضل مناقبي ما لم يكن لي فيه صنعٌ، قالوا: وما ذلك ياأمير المؤمنين، قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله لما قدم المدينة أمر ببناء المسجد، فما بقي رجل من أصحابه إلا نقب بابًا إلى المسجد، فجاءه جبريل عليه السلام فأمره أن يأمرهم أن يسدوا أبوابهم ويدع بابي، فبعث إليهم رسول الله (ص) معاذ بن جبل فأتى أبا بكر فأمره أن يسدّ بابه فأتى رسول الله (صلع) فقال: يارسول الله، دع لي بقدر ما أنظر إليك بعيني، فأبى عليه رسول الله (صلع) فسدّ بابه، ثم بعثه إلى طلحة والزبير وعثمان وعبد الرحمن وسعد وحمزة والعباس فأمرهم بسد أبوابهم فسمعوا واطاعوا، فقال حمزة

[36] القاضي النعمان، دعائم الإسلام، 2/1.

[37] القاضي النعمان، دعائم الإسلام، 2/1.

والعباس: يأمرنا بسد أبوابنا ويدع باب علي، فبلغ ذلك رسول الله (صلع) فقال: قد بلغني ما قلتم في سدِّ الأبواب، والله ما أنا فعلت ذلك ولكن الله فعله وإن الله أوحى إلى موسى أن يتخذ بيتًا طهرًا...إلخ .[38] "

كما يذكر عن جعفر الصّادق بصيغة "روينا" مرة أخرى ينسب إلى جعفر الصادق تأويل آية من آيات القرآن تأويلا باطنيًا وفق الإسماعيلية، والرواية تقول: "وروينا عن أبي عبد الله جعفر بن محمد (ص) أنه قال في قول الله عزوجل: أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهدٌ منه، قال: الذي هو على بينة من ربه هاهنا رسول الله (صلع)، والشاهد الذي يتلوه منه علي (ص) يلتوه إمام من بعده وحجة على من خلفه من أمته .[39]"

ولم يقتصر الأمر على الروايات عن أهل البيت بل نقل القاضي النعمان عن النبي صلى الله عليه وسلم بنفس صيغة "روينا"، حتى وإن كان الحديث مشهورًا لم يعتن القاضي بذكر سنده، كالحديث الذي ذكره كالتالي: "وروينا عن رسول الله (صلع) أنه قال: عليٌّ منّي وأنا منه وهو وليّ كل مؤمن ومؤمنة بعدي"، ولأن الحديث مشهورٌ في كتب الحديث فقد قال النعمان في هذه المرة: "وهذا أيضا من مشهور الأخبار[40] ."

كذلك نقل عن عن النبي صلى الله عليه وسلم كالتالي: "وعنه (ص) أنه قال في قول الله عز وجل: يا أيها الذين آمنوا، أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم، قال: هم الأئمة منا وطاعتهم مفروضة" ويقول بعدها أيضًا: "وروينا عنه عليه السلام أنه سُئل عن قول رسول الله (صلع): من مات لا يعرف إمام دهره حيًّا مات ميتة جاهلية، قيل له: من لم يعرف الإمام من آل محمد أو غيرهم؟ قال: من جحد الإمام مات ميتةً جاهليةً، كان من آل محمد أو من غيرهم"، وروينا عنه (ص) أنه سُئل عن قول الله عز وجل: إن في ذلك لآياتٍ للمتوسّمين، قال: هم الأئمة ينظرون بنور الله، فاتقوا فراستهم فيكم"[41] . وهكذا يستمرّ القاضي النعمان بالنقل عن النبي صلى الله عليه وسلم دون سندٍ. يذكر من قريب أو بعيد.

[38] القاضي النعمان، دعائم الإسلام، 17/1، وهذه الرواية تطول إلى ثلاث صفحات من الكتاب.
[39] القاضي النُّعمان، دعائم الإسلام، 19/1.
[40] القاضي النعمان، دعائم الإسلام، 20/1.
[41] القاضي النعمان، دعائم الإسلام، 25/1.

هكذا يذكر لفظ "روينا" عن الرسول صلى الله عليه وسلم دون سندٍ في أغلب الأحوال [42]، كذلك عن الصحابي أبي ذر الغفاري، وعن أهل البيت كعلي بن أبي طالب[43] وجعفر الصادق وغيرهم رضي الله عنهم، وجعفر الصادق أحد أكثر الأئمة الذين نُسِبت لهم روايات كثيرة [44].

لكن القاضي النعمان في أحايين قليلة كان يذكر إسنادًا لكنه إسناد بالأئمة لكنه يبتدئ الإسناد بـ"روينا" صيغة المجهول أيضا، فعلى سبيل المثال يقول: "روينا عن جعفر بن محمد بن أبيه عن آبائه أن رسول الله (صلع) قال: نجّوا أنفسكم، اعملوا وخير أعمالكم الصلاة[45]" ، كما يذكر القاضي الأحاديث المشهورة بقوله: "والحديث المأثور[46] ."وقد استدلَّ السجستاني ببضع أحاديث في كتبه كحديث "إن الله نظر إلى الخلق فاختار العرب من بينهم، واختار قريشا من العرب، واختار عبد المطلب من قريش، واختارني من عبد المطلب"، وهذا دليل على اختيار عبد المطلب وجماعة من نسله على تيم وعدي وأمية وسائر قبائل قريش[47] .

إننا إذا ذهبنا إلى الدّاعي ابن الوليد المتوفّى 612 هجرية، فسنجده بالمقارنة مع دعاة إسماعيلية أخر قد ذكر عدّة أحاديث كي يستدلّ بها على إثبات الوصاية لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، لكنه في الوقت نفسه قد أهمل أسانيدها كما هو الحال عن بقية الدعاة الإسماعيلية، من تلك الأحاديث: "لا يحل لامرءٍ مسلم أن يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عند رأسه"[48] ، وهذا الحديث قد رواه الفريق السنّي لكن ابن الوليد تجاهل هذا كما تجاهل أسانيد الحديث التاليين: ""لا ترجعوا بعدي كفار يضرب بعضهم رقاب بعض"، وقال: "لئن وليتموها عليا، ولن تفعلوا، ليسلكن بكم المحجة البيضاء[49] ."

خاتمة

[42] القاضي النعمان، دعائم الإسلام، 1/28،27.

[43] القاضي النعمان، دعائم الإسلام، 1/28.

[44] القاضي النعمان، دعائم الإسلام، 1/20، 24، 27، 50، 60، 133.

[45] القاضي النعمان، دعائم الإسلام، 1/133.

[46] القاضي النعمان، دعائم الإسلام، 1/34.

[47] السجستاني، الافتخار، ص 155.

[48] من الواضح هنا أن الداعي ابن الوليد يتعلق بمجرد التشابه اللفظي بين كلمة الوصية التي وردت في الحديث وبين مبدأ إثبات الوصية لعلي بن أبي طالب كما يدّعي، والمعروف أن الوصية المقصودة هنا في الحديث هي وصية الإنسان قبل موته، والحديث ورد في مسند أحمد، تحقيق أحمد شاكر،: دار الحديث، 1995، القاهرة، 4/312.

[49] ابن الوليد، تاج العقائد، ص 64.

اختلف معنى كلمة السنّة عن المسلمين، لكننا وجدنا تركيزًا عليها في أدبيات الفرق السنّية ، خاصة عند المحدّثين والفقهاء، فعرّفوا السنّة بأقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وأفعاله في اختلافٍ بين المحدثين وأصحاب أصول الفقه، ونشأ الاهتمام بسنة النبي صلى الله عليه وسلم ابتداءً بعصره، لكن النبي صلى الله عليه وسلم قد نهى عن كتابة الأحاديث في بادئ الأمر حتى لا يختلط تدوين آيات القرآن بالأحاديث الخارجة من الرسول، ثم أذن بعد ذلك في كتابة الأحاديث، وقد كان من بين الصحابة رضوان الله عليهم من اهتمّ بتدوين الأحاديث وحفظها، ولمَّا وقعت الفتنة بين الصحابة الكرام، سعى كلُّ فريقٍ بأتباعه لينصر نفسه بكل ما أوتى من الحجج والأدلة، سواء أكانت آيات أو أحاديث أو إجماع بغض النظر عن صحة الاستشهاد أو الرواية، فلمّا وقعت هذه الفوضى في الروايات سعى المحدّثون إلى تثبيت وتسمية الرجال الذين ينقلون الحديث، كما قال ابن سيرين بأن هذه الفتنة حينما وقعت قيل: "سمّوا لنا رجالكم" أي اذكروهم بأسمائهم حتى لا يختلط الحابل بالنابل، ونشأ على ذلك علوم الحديث، التي تضمّنت فيما بينها علوم الإسناد والجرح والتعديل والرجال، بميراث كبيرٍ من المؤلفات والقواعد الصّارمة التي تبين صحيح الحديث من سقيمه، حتى شاعت هذه القواعد وطُبّقت على علوم أخرى.

إننا إذا نظرنا إلى الشيعة بشكل عامٍ والفرقة الإسماعيلية فقد ناقش البحث المسألة من خلال ثلاث محاور أساسية كي يستوضح مفهوم السنة عندهم، ما معنى السنّة؟ ما أهمية الإسناد كوسيلة ناقلة للسنة؟ مساحة استدلال الأحاديث لدى الشيعة الإسماعيلية وكيفية تناولهم لها.

ولكي نفهم معنى السنة ونظرة الإسماعيلية لها، لابدّ أولا أن نعرّج على الاعتقاد الشيعي خاصة فيما يخص آل البيت والصحابة، فمكانة أهل البيت هنا إحدى نقاط ارتكاز الاعتقاد الشيعي، فالشيعة الإسماعيلية كالإمامية في هذه النقطة، رأوا بأن أئمة آل البيت هم المصدر الوحيد للعلوم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم على مرِّ العصور، فهم معصومون من كل خطأ أو زلل، أما في الاعتقاد الإسماعيلي فإن الأئمة يحتلّون مكانًا هامًّا في النظام الكوني، فهم أحدى الحلقات التي في سلسلة الكون من الأعلى إلى الأسفل، ففيهم مسحة غنوصية فلسفية، بالإضافة إلى كونهم معصومون.

لماذا تحتلُّ عملية الإسناد أهمية في نقل الرواية؟ لأن عملية الإسناد تعتبر الوثيقة التي تثبت صدق الرواية –أو المعلومة بشكلٍ عام– من عدمه، وقد رصدنا باختصار استعمال الإسماعيلية للإسناد، ووجدنا إهمالا في الأغلب الأعم، للإسناد أثناء نقل الأحاديث، بل وجدنا استهزاءً من الدعاة الإسماعيلية كما سبق على لسان الداعي الإيراني السجستاني في استهزائه من أحمد بن حنبل والبخاري ومالك وغيرهم، وهذا

الإهمال نابعٌ بدوره من اعتقاد الإسماعيلية بكفر الصّحابة رضوان الله عليهم، وقاعدة الإسناد هي الطبقة الأولى التي تكون الصحابة، فالصحابة عند السنة هم عدول، أما عند الإسماعيلية فهم كفار إلا القليل، وقد سبقت تشبيهات السجستاني وادّعاؤه بأن أبا بكر وعمر وعثمان قد عبدوا الأصنام، وبالتالي انحصرت عملية الإسناد عند الإسماعيلية في النقل عن أهل البيت، لكن في هذه المرّة أيضًا لم يلتزم الإسماعيلية بالنقل المسلسل لأهل البيت بل وجدنا إهمالا لسلسة الإسناد، وقد نقلنا أمثلة كثيرة عن القاضي النعمان وغيره، وهو ينقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم مباشرة بقول "وعنه" أو يقول "روينا" بصيغة المجهول، كذلك الأمر حينما ينقل عن أهل البيت، رغم طول المدّة الزمنية التي تفوق ثلاث قرون.

بالرغم من إهمال الإسماعيلية لمسألة الإسناد في الأحاديث إلا أننا وجدناهم قد استشهدوا بالأحاديث النبوية، منها ما هو مشهور كما عند الدّاعي السجستاني في استدلاله لحديث: "إن الله نظر إلى العرب..."، ومنها غير المشهور، لا سيما عند القاضي النعمان في كتابه في أحكام الفقه الإسماعيلي، وقد أكثر من استشهاده بالأحاديث النبوية لكن من دون الأسانيد أيضًا، ولم يختلف الأمر كثيرًا عند الداعي ابن الوليد المتوفى في القرن الرابع الهجري، فنقله للأحاديث جاء عشوائيا دون ذكر أسانيد تعضِّدها أو تبيّن ضعفها، مما يقدح في مصداقيتها من أصلها اللهم إلا أن تكون هذه الأحاديث مشهورة في كتب الحديث بأسانيدها، وقد تقدّم نقل القاضي وقوله في بعض الأحاديث: "والحديث المأثور" أو المشهور، ما يدلُّ على أنه كان على علمٍ ولو طفيفًا بالأحاديث المشهورة في كتب الحديث المعروفة بأسانيدها.

References

Al-Amali. Sheikh Al-Mufid. Beirut: Dar Al-Murtada, n.d.

al-Baḥqī, Muhammad Abd. Al-Mu'djam Al-Muhfaras Li-Alfaẓ Al-Qur'ān Al-Karīm. Cairo, 1987.

al-Kirmani, Hamid al-Din. Rahat Al-'aql. Edited by Muhammad Kamel Hussein. Cairo: Dar Al-Fikr Al-Arabi, n.d.

al-Qushayrī, Muslim. Ṣaḥīḥ Muslim. Al Tab'ah 2. al-Riyāḍ: Dār al-Salām lil-Nashr wa-al-Tawzī, 2000.

al-Sijistānī, Isḥaq Abu Ya'qūb. Kitab Al-Iftikhār. Al-Ṭab'ah 1. Dimashq: Dār al-Ghadīr, 2016.

al-Walīd, Ḥusām 'Alī ibn Muḥammad ibn. Kitab Taj Al-'aqā'id Wa-Ma'dan Al-Fawā'id, 2011.

Hanbal, Ahmed Bin. The Musnad of Ahmad. Edited by Ahmed Shaker. Cairo: Dar Al Hadith, 1995.

Kulainī, Muḥammad. Al-Uṣul Min Al-Kafi. Beirut, 1985.

Kuzudişli, Bekir. "Şia'da Rivayet Olgusunu Şekillendiren Temel Unsurlar ." Dinbilimleri Akademik Araştırma Dergisi Cilt. Vol. 18, May 31, 2018. https://dergipark.org.tr/tr/pub/daad/435237.

Mahmud, Rami. Fatımîler Döneminde Siyasî Ve İdeolojik Bir Yapılanma: Kelamî Açıdan İsmailî İnanç Sistemi. Istanbul: Post Yayinevi, 2020.

Nawbakhti, Abū-Muḥammad. Kitab Firaq Aš-Šī'a. Istanbul: Maṭba'at ad-Daula, 1931.

Qāḍī, an-Nuʿmān. Da'ā'im Al-Islām Wa-Dikr Al-Ḥalal Wa-'l-Ḥarām Wa-'l-Qaḍāya Wa-'l-Aḥkām 'an Ahl Bait Rasul Allah, 1960.

Taimiyah;, Ahmad bin Abdul Halim bin Abdussalam Ibnu. "Minhaj As-Sunnah an-Nabawiyah Fi Naqdhi Kalam as-Syi'ah Wa Al-Qadariyah. Vol. 2 (3-4)," 2004.